

آليات التفاعل ومساند الفاعلية الاجتماعية للزاوية الزيانية في قصور الساورة [تاغيت والفنادسة] في الجنوب الغربي الجزائري.

قسم علم الاجتماع - جامعة بنار

أ. محابيب نور الدين

لا يمكن أن نفهم عن ظواهر الاجتماع - في هذه التجمعات البشرية - حقائق كثيرة بعيدا عن البناء العام للمجتمع الإسلامي مثلا في الثقافة⁽¹⁾ كمفهوم شامل للسياسة، ونحن بذلك نريد أن نركز على نقطة نراها محورية في مسار البحث تتمركز حول منابع الفاعلية ومصادر التدافع بل مقومات الحراك الاجتماعي.

إن تاريخ ومسار الحركة في قصرَي تاغيت والفنادسة (بنار) لا يمكن فصله عن التاريخ العريض للمغرب العربي ككل بل وحتى المشرق العربي، لأن الأحداث يتداعى بعضها إلى بعض بحكم الارتباط الجغرافي والديني والإثني والسياسي والثقافي (العقائدي) فالصراع بين الشيعة والسنة وبين الخوارج والشيعة يمثل محورا في تحديد طبيعة الظواهر الاجتماعية الناشئة عن ذلك، فهجرة الشفاء كنموذج عن هذا الحراك، ناتجة عن الاضطهاد بسبب الاختلافات المذهبية الصادرة عن التعصب القائم على الدوغمائية في الطرح.

إننا لا نحاول بهذه الصورة الخوض في مضامين الإشكاليات الكلامية التي تمحورت حول الخلافة، بقدر ما نريد أن نجد مبررات لظهور حركات اجتماعية ودينية مثلت ردود أفعال واضحة معانسة لتلك التي ارتبطت بها الساحة السياسية، خصوصا بعد وفاة النبي ﷺ، وحيرة المسلمين في اختيار من يخلفه في قيادة الأمة، ثم تتضح بصورة أكثر بعد مقتل عثمان⁽²⁾ بن عفان رضي الله عنه.

ولعل هذا الحدث وما جاء بعده أثناء خلافة علي بن أبي طالب من فتن أبرزها واقعة الجمل - مهدت للصراع المذهبي والطائفي - كان سببا في ظهور تيارات عقائدية ومذاهب تتبنى حلولاً للأزمة، وتنتهج وسائل سلوئية من أبرزها: التصوف الذي قام بصورة قصدية من الابتعاد عن السياسة بالزهد في الدنيا ومتاعها، فكان آلية من آليات التعبير عن الذات بل التجسيد الفعلي للذات⁽³⁾ بكل المقومات (النقلية والعقلية).

يشير التصوف بهذه الصورة إلى مرجع بل منطلق من منطلقات التفاعل الاجتماعي وملجأ للحفاظ على الهوية، ولية من آليات الدفاع التي تصون الوجود، وتثبت الكينونة وسط الهرج والمرج والفتن التي مزقت تيان الأمة، ومن هنا يأتي إشكالنا مشروعا عندما يتوقف على بيان تلك العلاقة بين الفعل الاجتماعي وصلته بهذا المنسك التعبدية والتعبيري؟.

والتصوف حركة أو توجه عالمي عرفته مختلف الديانات الهندية والمسيحية واليهودية فهو طريقة رياضية لمعرفة الله، ولم يصل صده إلى العالم الإسلامي إلا نتيجة لإطلاع العرب المسلمين على الحضارات السابقة عنهم، بل نتيجة لعملية الانتشار والاحتكاك والدليل أن التصوف معرب من (تيو صوفية) (Théosophie)، وهو مرئب من تيوص بمعنى الإله وصوفية بمعنى الحكمة، يقول عنه القشيري في رسالته: <<لا يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس، ولا اشتقاق، والأظهر أنه كاللقب >>⁽⁴⁾ واستبعد بعضهم اقتباسها من اليونانية فردوها تارة إلى أهل الصفا، وتارة إلى لبس الصوف، وتارة إلى الصفاء.

ومنهم من قسم التصوف إلى قسمين⁽⁵⁾: قسم، يقوم على طلب العلم والمعرفة، وقسم يقوم على تصفية النفس بالعبادة والانقطاع عن الدنيا والمتاع الجسدي⁽⁶⁾.

إن التصوف يمثل أحد ركائز الفعل الاجتماعي، خصوصاً ونحن نتحدث عن تلك الميزة التي اختصت بها المؤسسات الدينية ممثلة في الزوايا، والتي كانت ظاهرة اجتماعية سائدة في الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها، ابتداء من قرن 12 إلى 17م، وأخذت طابعا رمزياً يعبر عن الرباط، ويترجم ذلك المسلك الذي لجأ إليه المتصوفة العارفين والعابدين على حد سواء، إذ ليس من العبث أن يجتمع اسم المربط باسم الشريف، والصلة الوظيفية قامت من تحقيق التوافق بين المعرفة والعبادة.

إننا نستهدف بهذه التوطئة الحديث عن الزاوية التي أسسها الشيخ محمد بن أبي زيان في القنادسة، وعُرفت باسمه (الزيانية) وهي طريقة في الذكر تستمد أصولها من المشرب الشاذلي كغيرها من الطرق الأخرى [الزروقية، اليوسفية، الجزولية، الغازية الشيشية، الناصرية، الشايبية، الطيبية، الحزالية (Hansalia)، الزيانية، الكرزاوية، الدقاوية المدانية، والموخالية].

التوجهات العامة للطريقة الشاذلية تقوم على مضامين مقاصد وأصول التصوف، أي التجرد لله بالعبادة والإخلاص في الطاعة من أجل تذوق نشوة الربوبية والخلود في عالم الروح بالفناء في الذات الإلهية⁰، وغيرها من طقوس الصوفية التي حددها مذهب أبي قاسم الجنيد، وانتشرت في شمال إفريقيا على يد شعيب أبي مدين الأندلسي المعروف ب: (الغوث) وقام بتدريسها والترويج لها الشيخ عبد السلام بن مشيش بالمغرب، ثم ورثه تلميذه المشهور أبو الحسن الشاذلي مؤسس الطريقة الشاذلية، والتي تفرعت منها المدارس الصوفية⁰ التي سبقت الإشارة إليها، فكان اهتمامنا مركزاً على الزاوية الزيانية إحدى هذه الزوايا التي تأسست على يد الشيخ محمد بن أبي زيان بالقنادسة، وهي المنطقة التي نخضعها للدراسة.

وتقوم هذه الطريقة على معالم التورث المرتبط بسلسلة الورد وسلسلة البركة⁰ وتتخلص أوراها الطريقة الزيانية في:

* ملازمة الاستغفار في كل يوم، مائة مرة، ينوي بذلك تجديد التوبة.

* الصلاة على النبي ﷺ بهذه الصيغة: >> اللهم صلي على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً <<، مائة مرة.

* (لا إله إلا الله)، ألف مرة، وبعد تمام كل مائة، يقولون: (محمد ﷺ).

* المواظبة على ذلك كل يوم، والأحسن أن يكون بعد صلاة الصبح، والقدر المذثور ليس حداً، لا يزداد عليه بل، هذا القدر الذي لا بد منه كل يوم، وما الزيادة فتكون بقدر الإمكان فإذا سهل هذا القدر تكون الزيادة على سبيل الترجيح.

* قراءة القرآن في المصحف، ولو خمسة أحزاب في اليوم.

* قراءة دلائل الخيرات في كل يوم مرة إذا أمكن، وإذا لم يتيسر فنصفه أو ربعه في اليوم وقل من ذلك مرة كل جمعة.

* صيام الاثنين والخميس إذا تيسر، وإلا فتلاثة أيام في كل شهر (الأيام البيض).

* مطالعة كتب المتصوفة، وبخاصة منها الحكم لتاج الدين ابن عطاء الله المتوفى سنة

(765 هـ / 1364م)، وإحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، وقوت القلوب، لأبي

طالب المكي.

* ملازمة قيام آخر الليل بخمس تسليمات، ولو بحزين، وقبلها بركتين خفيفتين الأولى

بالباتحة وسورة الكافرون، والثانية بالباتحة والإخلاص^(١).

يرتبط هذا العرض بمقصد، هو الإفصاح عن قيام تأسيس الزاوية تبعا لنسقية مرتبطة بالنظام، كبنية كلية قامت في ساحة محلية استمد أصولها من قاعدة الزاوية الأم، وهذه نقطة مهمة تجعلنا نعتقد، عند تقييمنا للإنجاز الذي حققته الزاوية الزيانية، أنه يمثل إعادة للتجارب التي سبقتها، بل يساير المفهوم العام للنجاح الذي حققته كل الزوايا في الزمن الذي انتشرت فيه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإننا نعمل على إبراز جانب التميز في طبيعة المعاملات الفكرية واللغة الروحية التي يتسامى بها أرباب التصوف وترفعون بها عن قضايا الوجود الحسي^(٢) والإملاءات الجسدية التي تشكل هاجسا عند العامة من الناس (الساكنة).

إن الروابط التي تجمع القنادسة بتاغيت، هي روابط متعددة؛ منها ما يرتبط بالجغرافيا ومنها ما يرتبط بالمناخ والإنشئة، لكن هيكل هذا الترابط، وجعله يأخذ صورة البناء هو البعد الروحي الذي أتجه حضور الشيخ، وهو صغير في تاغيت، وطبيعة الحكايات الفونطسما قورية التي تظهر مضمون الاصطفاء، أو العناية الإلهية له في صغره تهيئة له، ولما هو قادم من الأيام، وحسبنا قصة الجمر الذي حمل في عباءته عندما طلبت منه زوجة أبيه أن يجلب لها قبس من النار^(٣)، ففعل ذلك دون أن تظهر على عباءته أي أثر للحرق.

إن الرحلة الصوفية عند الشيخ في المجال، انتهت به إلى الاستقرار في القنادسة التي أقام فيها منظومة للقيم ونظام اجتماعي قاعدي، كان بمثابة الحجر الأساس للهوية الاجتماعية، والثقافية لساكنة القنادسة وتاغيت الذين يراقبون ويتابعون حلقات ما بعد الطفولة التي ترعرت في تاغيت، وحملوا عنها مشاهد درامية مؤثرة أنتجت لديهم شعور بالالتزام ورغبة في الخضوع.

إن التواصل لم يكن عفويا، بل جاء نتيجة تأسيس الزاوية الزيانية في المكان والمجال المتوج بمقومات الشخصية القاعدية ذات المرجعية المقدسة، [المجال في القنادسة كان مقدسا بأسلاف الشيخ؛ ومنهم المؤسس الأول للقنادسة، وحتى تاغيت، ومن تلك النماذج من شيوخ الطرق الطيبية والبوشيشية والكرزازية]، ون صياغة هذه المنظومة موجهة بقانون الاستجابة الفيزيولوجي الذي وضعه إيفان بافلوف، لكن مضمونه البنائي مختلف تماما لأنه قائم على نفي النفي، أو مقارنة الأوضاع المتعارضة^(٤) [الهناء مقابل الاضطهاد والحيرة، ضمان الحماية واللجوء مقابل الهبات أو السخرة والطاعة].

ومن ذلك فإن عملية التفاعل الاجتماعي في تاغيت والقنادسة، تقع في مجال التغطية الروحية على الرغم من شكل العلاقات الاجتماعية، الذي يأخذ شكلا موحها بالعصية والصراع والنزاع حول الموارد، والدليل أن المناعة الروحية للشيخ في القنادسة وتاغيت، هي امتداد لمجال مقدس مجسد في صور رمزية للأولياء الصالحين؛ من قباب وضرحة تتحدد به جغرافية المقدس، [حيث يوجد بالزاوية الفوقانية ضريح سيدي عبد المالك بوقباب، وتاغيت، ضريح أبي الشيخ محمد بن أبي زيان، وبقصر بري ضريح سيدي إبراهيم عريان الرأس، وبقصر بختي سيدي بايزيد البسطامي، وضريح سيدي سعيد بن عثمان بالزاوية التحتانية]، لهذا يكون الحديث عن التفاعل الاجتماعي موحها بنفوذ الزاوية الزيانية في القنادسة وضواحيها، بما في ذلك تاغيت، وتابعا لتأثير السلطة الروحية (الكرزمانية) للشيخ، وقائما على تلك الإستراتيجية التي بنى عليها التأسيس، وصدر عنها التحول الاجتماعي، من مجتمع تسود فيه الصراعات والتطاحن بين القبائل إلى مجتمع محاب له حرمة لا تمس، لقد أوجدت الزاوية الزيانية مقومات الحفاظ على وتيرة الحياة الاجتماعية بالدعم الروحي للإنشئة الغالبة، حسب مقتضيات المصلحة واستغلال ديناميكية الجماعة الفاعلة في توطين السيادة على الواقع الاجتماعي في تاغيت والقنادسة، [فكانت قبائل ذوي منبع تساند الزاوية من خلال الزيارات، وتساهم في حماية القوافل التجارية مع غيرها من القبائل (أولاد جرير وبني قيل)]، وكانت الزاوية من خلال مقترحاتها التنظيمية تعمل على توطين سلطة هذه القبائل في أمان النفوذ، كما هو شأن ذوي منبع وامتلاكهم لجميع غابات نخيل بني قومي^(٥) مع مرابطي الزاوية الزيانية التي جاءت عن طريق الهبات تشريعا وكتابة.

هذه خطوط عريضة أو محطات في عمليات التفاعل الاجتماعي كان التوقف عندها حتمياً لأنها بمثابة مرجعيات للحديث عن المقدس وأطر ثقافية للهوية الاجتماعية.

التفاعل الاجتماعي:

التفاعل الاجتماعي عملية بل ظاهرة حادثة من وجود علاقة بين الفرد والمجتمع أو بين ظاهرة وأخرى قد تكون أفقية أو عمودية، وقد تأخذ صيغة إيجابية أو سلبية (تأثر وتأثير)، وقد تتحدد بطبيعة متباينة (بيئية، اقتصادية، إثنية، ثقافية، دينية) إلى حد يمكن تلخيصها بكلمتين شاملتين للوجود مادية وروحية.

إن طبيعة النظام الذي نحاول قراءة محتوى التفاعل الاجتماعي فيه مقرون بتوجه صوفي غالب أثبت بمقتضاه دعائم الحياة الاجتماعية في القنادسة أولاً، ثم في تاغيت فيما بعد بصورة تحكيمية تعبر عنها الإشكالية التالية: هل طفولة الشيخ في تاغيت هي المنطلق الذي سوف تتأسس عليه المحطة في القنادسة؟ لاشك وأن محاولة الإجابة عن هذه الإشكالية تمثل أرضية موضوع قراءة مضمون التفاعل الاجتماعي في هذه البيئة الجغرافية والجغرافيا البشرية، إن القراءة تتجه ضمنياً نحو محاولة رصد حقيقة المجال أو المناخ الاجتماعي الذي نشأ فيه الشيخ، وهو مناخ مرتبط بمسألة المعاناة وعملية التحلل الذاتي والمعايشة الشعورية أو الفينومينولوجيا⁽¹⁾ التي وهمت مسيرة الشيخ وكانت سبباً في بناءه للمكان بتجلياته في مضمون الحياة الصوفية والروحية التي ارتبط بها قبل أن يبلغ الحنث أو سن التكليف⁽²⁾.

الميل إلى الزهد سابقة في حياة الشيخ محمد بن أبي زيان وهذا ما تظهره معاناة الطفولة موت الأم اللانجمة، وكانت من فضلاء تاغيت من أسرة يقال لها البيزان، تزوج بعدها الأب عبد الرحمن بامرأة من نفس الأسرة، وكان مأكناً في قصر تاغيت يطلب من ساكنة القصر لشعورهم بوجود فراغ روحي على غرار القصور الأخرى، وغياب مناعة في القصر بغياب الولي الصالح الذي يضمن لهم ذلك، فكان النداء من أجل هذا المقصد (العار في ظل الولاية) والاحتفاء بشرف النسب ضد الاعتداءات والغارات.

لم تحسن زوجة الأب إلى الطفل محمد بن أبي زيان فكانت تكلفه بما لا يطيق وتتعسف في إلحاق الأذى به والوشاية به إلى أبيه لغرابة أطواره، بل للخوارق التي كانت تصدر عنه [قصة الحجر ووقوفه حافياً فوق الكانون: الموقد الذي يستعان به لطهي الطعام والتدفئة]، وقد عرفنا من خلال أسئلتنا الميدانية في تاغيت، أن العلاقة الحسنة التي كانت تجمع بين أبي الشيخ محمد بن أبي زيان الذي كان ورعاً وعالماً جليلاً والشيخ سيدي عبد المالك بونقاب في الزاوية الفوقانية، مكث الشيخ محمد بن أبي زيان وهو صغير من حراسة حقول الزاوية الفوقانية التي يمتلكها الشيخ بونقاب من طائر يقال له محليا << الزرزور >> الذي لوحظ بأنه لم يقترب (الطائر) بتاتاً من الحقل الذي يحرسه الطفل محمد بن أبي زيان بعناية لم تتوفر في الحقول المجاورة وهذا ما أدهش الشيخ عبد المالك بونقاب برواية الأهالي

هذه الحكايات الفونطسما قورية، تشير إلى تلك الرؤية التي يتبناها أفراد المجتمع حول الشيخ محمد بن أبي زيان، وهي رؤية موضوعية ربما عجلت برحيله من تاغيت، واستمرت في فاس (مول الزيت شد زيتك⁽³⁾)، وكانت سبباً في خروجه من فاس واتهامه بالسحر والشعوذة، وكانت ذريعة في البحث عن الاستقرار الذي وجده في القنادسة نزولاً عند أعمامه خصوصاً بعد وفاة والديه، ولم يكن الاستقرار ليقع لو لم يستشعر معالم الجاذبية الروحية التي ارتبطت بها القنادسة، قيل سمع منادياً يقول له: << آغار >>، لهذا نحن أمام واقع اجتماعي أبنى من المعاناة أو المعايشة المستمدة من هوية الشيخ ومقوماتها الروحية المقدسة ممثلاً في كيان الزاوية الزاوية، ومجسداً في طابعها المؤسسي والخدمي وقائماً من تنظيها الهيكلي.

المؤسسات الاجتماعية:

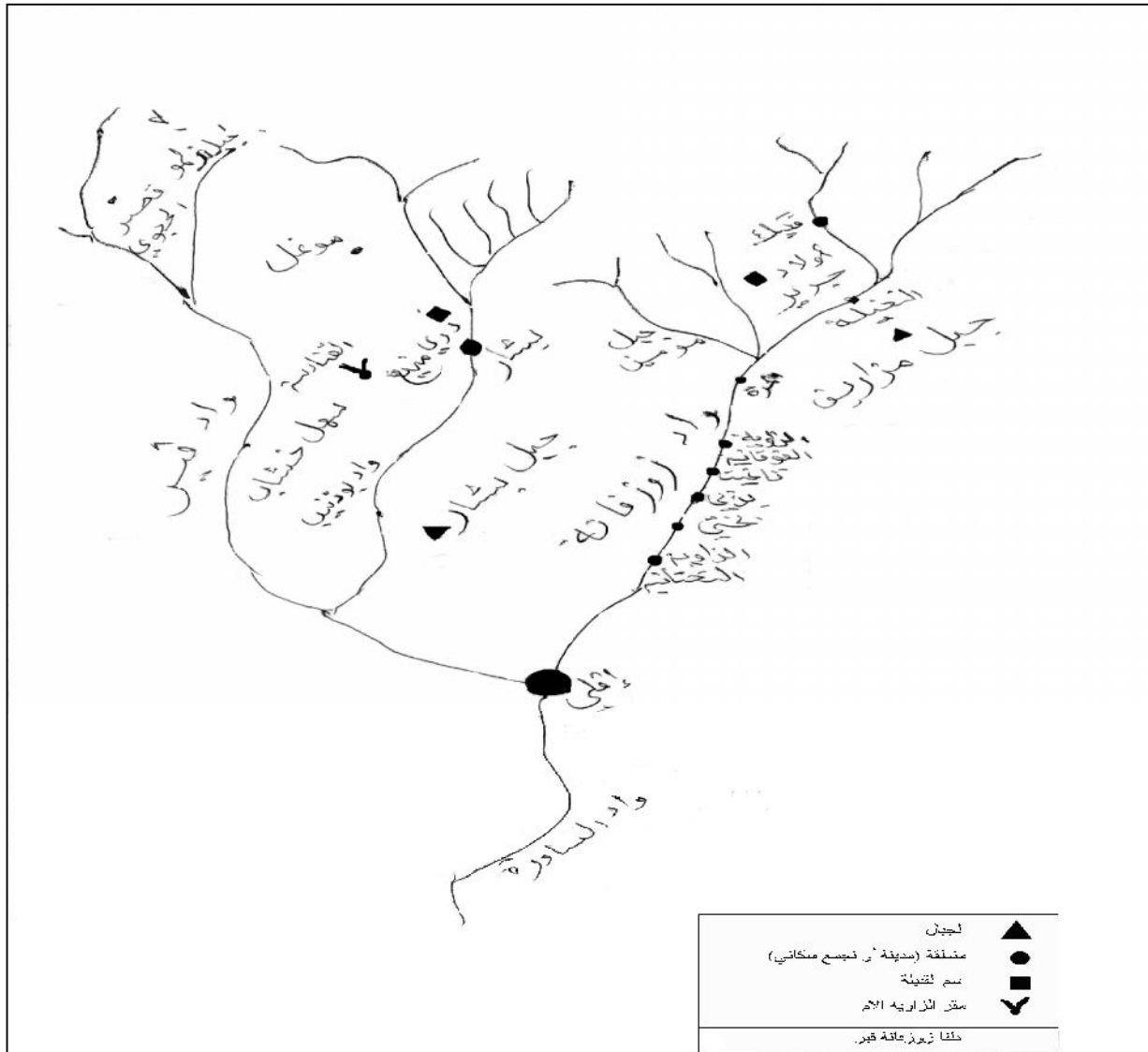
ينشأ الشعور الديني عند الإنسان، حسب مؤرخي الأديان وعلى رأسهم ردولف أوتوا¹ من الإيمان بعالم الروح والأفكار التي تتولد لديه كحالة من حالات الإدراك المترامن مع وعي الإنسان لذاته، والتي تجعله يتطلع إلى فهم وتفسير القضايا المتعلقة بديانته وإيمانه، وهو إدراك يسير الضرورة في كل شيء وفي كل موقف، يتميز هذا الإدراك ويتسامى لارتباطه بالمقدس الذي يمثل نقطة اتصال بينه الإنسان والله ومقتضيات الإيمان المطلق به، وإدراك حقيقة الألوهية مسألة لن تتأقن للإنسان بتلك اللغة² البشرية العاجزة في تفسير اللامعقول الذي يرتبط به المقدس، على الرغم من تركيز جوانب كثيرة من عقائد الديانات على معقولة يتم بها ترسيخ المعتقد وتحقيق الاقتناع، كذلك التصوير العقلائي المدرك لله مسير الكون الخالق، المشرع، القاضي، الرب، الحاكم .. إلخ، لكن هذا الجانب حسب ردولف أوتوا ينتهي عند حدود تصورات الإلهي بصيغة ذات طابع تجريدي بعيدة عن الحياة وغريبة عن الشعور الديني.

يمثل اللامعقول أحد المقومات التي لا نجدها إلا ضمن فضاء المقدس الديني، وهو المنطلق الذي تتأسس عليه قناعة الإنسان ورضوخه لتعاليم الديانة التي يرتبط بها، وشعوره أحيانا بالخوف الحاصل من دونيته وضالته أمام قوة الله، فكل ما لم يتمكن من تفسيره بعقلانية يرجعه إلى قصوره في إدراك حقائق الغيب فيلجأ إلى التعبير عنه بحالة وجدانية يسميها ردولف أوتوا <<بالرهبنة الصوفية>>³ التي تمثل نموذجا من الفروع الممتلئ بالخوف الباطني الذي تصاحبه حالات من الحب والشفقة والعطف، فتلعب دور المطلق لهذه الحالة الانفعالية لأنها تعويضية، ومن هنا فالتجربة الدينية عند كل إنسان تنشأ من الحالات الانعكاسية للامعقول في الدين، ومن الجوانب المعقولة الطقسية التي تتأسس بمقتضاها التجربة الصوفية، وتأتي المؤسسة ضمن هذه الأنشطة الطقسية والخدمات المرتبطة أصلا بقدسية المهمة، ونبل الرسالة التي يؤديها الشيخ للسكانة وللمناس جميعا وفقا لتعاليم موجهة بالمعتقد، والتوجهات العامة للطريقة الصوفية التي يعمل الشيخ والإخوان على نشرها والدعاية لها بمختلف الوسائل.

المؤسسة: في الاصطلاح السوسيولوجي⁴ هي: <<مجموعة الأحكام والقوانين الثابتة التي تحدد السلوك والعلاقات الاجتماعية في المجتمع بظهور الترتيب الاجتماعي>>، وهي تعبير عند بعض علماء الاجتماع: عن تلك الطرق المتبعة من قبل المجتمعات لحل المشاكل التي تواجهها بطريقة نظامية عقلية، ثابتة وتابعة لطبيعة الترتيب الاجتماعي. وقد لاحظنا، ونحن نحاول أن نتبع أثر المؤسسة المرتبطة بالزاوية الزيانية في تاغيت والقنادسة، بأن وجودها يقترن دائما بمضمون الخطاب الصوفي ولياته التي تثبت الفاعلية والدور الاجتماعي الذي تؤديه الزاوية الزيانية من خلال تنظيمها الهيكلي⁵.

مركزها ودورها الاجتماعي:

يؤحي الحديث عن المركز بتحديد الموقع في مساحة جغرافية أو في تبيان محل في إطار منظومة من القيم، ويستعمل عادة في العلوم الإنسانية وعلم الاجتماع للدلالة على ذلك مصطلح الطوبولوجيا⁶. ونحن نتحدث عن المؤسسات الاجتماعية، ربطناها بالزاوية الزيانية وشرنا إلى أن هنالك إستراتيجية في التأسيس وفي اختيار الموقع الجغرافي الذي جاء بين ضفتي واديين كبيرين؛ وادي قير ووادي زوزفانة ولطبيعة بشرية مُستقطبة من طرف هذا الموقع الجغرافي الذي يمكن اعتباره أساسا ومقوما من المقومات المساهمة في بلورة وإبراز دور مؤسسة الزاوية الزيانية، فهو بمثابة البنية التحتية والأرضية المادية التي تصدر عنها الفعاليات والنشاطات المحددة لمركز الزاوية في المكان بمعناه الحسي، ومن بعد للمكان بصورته الروحية⁷ والرمزية. ويمكننا تمثيل ذلك بيانيا من خلال هذه الخريطة الجغرافية التي تحدد موقع الزاوية الزيانية والإمكانات التي توفرت ومهدت لقيام الدور الاجتماعي.



إن مركز الزاوية الزبانية يأتي في إطار المؤسسة مقروناً بمراكز الزوايا المنافسة على هذه الرقعة الجغرافيا، وإن كان الحديث عن المنافسة نادر الحدوث، لأن الأولياء الصالحين لا ينافس ظاهرياً بعضهم البعض، لكن سنحاول الإشارة إلى ذلك من خلال وجود انتشار، مثلاً، في قصور بني قومي إلى ثلاث نماذج من الزوايا؛ وهي الطيبية والبوشيخية والكرزازية وهو تنافس على الموارد الطبيعية لا يغلب عليه النزاع السائد بين القبائل المتناحرة على البقاء، بل على المنافسة الروحية والسلطة الدينية، مع العلم أن هذه الزوايا الثلاث والزاوية الزبانية من مشرب واحد، هو الشاذلية ومن هنا فإن النزاع والتنافس قد يختفي من خلال هذا الانتماء.

إن الدور الاجتماعي في الاصطلاح السوسيولوجي يشير إلى تلك الأنظمة المعيارية الإلزامية التي تفرض على المسؤولين عنها الخضوع لها والعمل بها بصورة تحمل معالم التبادل الذي يصدر عن الواجبات والحقوق⁽¹⁾ والتي تفتقر أحياناً بالعقوبة والإجازات

وتأخذ صيغ مؤسساتية قمعية، ون الحديث عن الدور في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا هو بمثابة الإلمام بتلك العناصر البدائية الأولية في تحليل الأنساق، وفي تفكيك البنى التي يتألف منها المجتمع، وفي الوقوف على طبيعة العلاقات بين هذه العناصر التي توجه معالم الحياة الاجتماعية، لهذا اعتبره بارسونز نموذج تحليلي شبيه بتلك الجزيئات التي تعين الفيزيائي على فهم مكونات الظاهرة الفيزيائية⁽¹⁾. إن صورة الدور الاجتماعي لا تكون دائما مرتبطة بتحديد تلك التبادلية⁽²⁾ التي تنجم عن العناصر الاجتماعية، بل تكون أحيانا مرتبطة بدلالة التفوق وإبراز التميز الموجه للتحكم والسيطرة على الحياة الاجتماعية وإخضاعها لرقابة المعايير التي تصدر عن الجماعة

المرجعية⁽³⁾ الفاعلة على المستوى الاجتماعي والثقافي عامة. تعرف الجماعة المرجعية بأنها تلك التي يربط بها الفرد نفسه أو يأمل أن يرتبط بها وهي وحدة متماسكة نتيجة لمركزية أفرادها داخل الهيكل الاجتماعي، ولقياسها بأدوار موجهة بمنظومة من المعايير والقيم التي تنظم سلوك الأفراد الأعضاء فيها على الأقل في الأمور التي تؤثر في الجماعة⁽⁴⁾. يصور هذا التعريف تلك الآليات والمقاصد التي توجه الجماعة في تأدية أدوارها لا تتوقف على المقصد الخارجي، بل الداخلي أيضا، فهي تضمن استمرارية الوجود والفاعلية للجماعة المرجعية.

لقد قامت الزوايا على هياكل قاعدية مرتبطة بالنسق العام للإسلام ممثلا في دور العبادة، في المساجد⁽⁵⁾ كمراجع ومصادر موجهة للدور لأنه يمثل مركزا للتجمع ولأداء الشعائر التعبدية الذي تزول فيه الفوارق، ويتم فيه التشاور والتناصح، وتعد فيه الاتفاقيات وتبرم فيه العقود⁽⁶⁾، وهو مكان التضامن والتكافل والشعور بالوحدة، وهو مصدر للعلم وتزينة الروح ومنطلق الكثير من الأعمال في الحياة الاجتماعية، لهذا كان المسجد في مجمل التجمعات السكنية مركزا للقصور بل رمزا للحضور الإسلامي.

إن السبب الرئيسي لاجتماع الأفراد وتكوينهم لجماعة⁽⁷⁾ هو وجود عمل مشترك يتفقون على إنجازه والقيام به، وقد يكون هذا العمل برنامجاً أو تعييناً يبدو على السطح ولكن في مقابل ذلك قد توجد أفكارا مستترة لا تدركها الجماعة بوضوح⁽⁸⁾.

ولما كانت الأدوار مختلفة باختلاف مجالات الحياة وتباين الحقوق والواجبات عمدت الزوايا عامة إلى ابتداع أطر تنظيمية لتسهيل أداء الأدوار ولضمان إتقان لها فأنجزت تنظيما هيكليا يوحى بذلك.

المراجع

(1) محمد حسن غامري مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة (علم الإنسان) ديوان المطبوعات الجامعية ط1 1991 مدخل تطور الثقافة ص 30.

د. محمد سعيد رمضان البوطي فقه السيرة النبوية دار الفكر الجزائر. دمشق ط11. 1991 خلافة علي رضي الله عنه ص 371.

(2) التفت الجماهير حول الشرفاء لعلمهم بأن الله اصطفاهم وذهب عنهم الرجس فهم أصفياء (نقلا) ومكنهم من العلم والورع والتقوى (عقلا) وبصورة جامعة الجماهير استشعرت وقوع هؤلاء بغير حق في الاضطهاد والمظالم فراقبوا الله فيهم.

(3) مبارك بن محمد الميلي تاريخ الجزائر في القديم والحديث المؤسسة الوطنية للكتاب التصوف والصوفية ج 2، ص 340.

(4) عباس محمود العقاد: الفلسفة القرآنية مكتبة رحاب بور سعيد الجزائر. التصوف ص 154.

(5) Hajwiri Somme Spirituelle Kashfal Mahjub li Arbab qulub Soufisme P 56.

(6) Depont et Xavier les Confréries Religieuses Musulmane P 443

(7) ibid.école des Chadelia P- 443.

(^١) علي بن عبد القادر التازي منهل الضمآن ومزيل الكروب والأحزان في كرامة قطب الزمان شيخنا محمد بن أبي زيان ص 136 (مخطوط).

(^{*}) كما تظهر ذلك منظومة القيم السائدة داخل الزاوية من خلال الأوراد التي كانت توجهها تعمم على الحياة الاجتماعية والثقافية لسكان القنادسة وتأغيت وغيرها.

(^{**}) الإضاءة كانت في القصور تعتمد على الزناد [حجرين يعمل على احتكاكهما] والبيت الذي يشعل النار يمرره إلى البيوت المجاورة. (يجد علماء الاجتماع ومؤرخو الأديان صعوبة في تعريف المقدس فيعرفونه بضده [المقدس هو ما يتعارض مع المندس] لهذا يعتبر التعارض مرجعية في الفهم والتفسير للاطلاع على ذلك يمكن الرجوع إلى Makarius (L.Levis) Le Sacré et La violation des interdit payot paris 1974 P.8

(^١) la Croix et la Martinière Document pour Service a L'étude du N.O.A T2 Beni Goumi P.P 629 - 647.

(السيد الحسيني: نحو نظرية اجتماعية نقدية دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ط 1985 م "فينومولوجيا المجتمع ألفريد شوتر" 225 إلى 267.

(^١) محمد المصطفى القدوسي طهارة الأنفاس والأرواح الجسائية في الطريقة الشاذلية ص 27 (مخطوط).

(لويس رين المرباطون والإخوان كرامة الزيت ص 408.

(^١) ميشال ميسلان علم الأديان مساهمة في التأسيس تر، عز الدين عناية، المركز الثقافي العربي ط 2009 > اللامعقول في المقدس < ص 89.

(^١) للمتصوفة لغة خاصة لهذا السبب أنظر الرسالة القشيرية في علم التصوف لأبي قاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري تحقيق معروف مصطفى زريق المكتبة العصرية بيروت ط 1. 2001 مصطلحات التصوف ص 51.

(ميشال ميسلان علم الأديان مساهمة في التأسيس ص 90.

(^١) ميشال ديكن معجم علم الاجتماع ترجمة إحسان محمد حسن دار الطليعة بيروت ط 2. 1986م >> المؤسسة الاجتماعية << ص 127.

(^١) الطالب محمد مرزاق: الشيخ محمد بن أبي زيان وزاويته بالقنادسة الدور الديني والثقافي والسياسي >> التنظيم الهيكلي <<.

((ف). بوركوو.ر). يودون المعجم النقدي لعلم الاجتماع ترجمة د. سليم حداد ديوان المطبوعات الجامعية >> الدور << ط 1986م

(د. كمال دسوقي ديناميكية الجماعة في الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي - المطبعة الفنية الحديثة الجزء 1 ط 1969م: >> مرجعية الجماعة وعضوية الجماعة << ص 140.

(عبد الله القاسم الوشلي المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان ط 1990 مكانة المسجد الاجتماعية ومقامه في مجتمع المسلمين ص 17.

(^١) بيعة العقبة تمت بمنى بمكة ثم عمده النبي ﷺ إلى تنفيذها ببناء مسجده في المدينة المنورة المرجع نفسه ص 19.

(^١) كيف تعمل الجماعات طبع الهيئة العامة المصرية للكتاب تحرير جمعية تعليم الكبار الأمريكيين ط 1963 ، ط 2 1976م >> سلسلة العلاقات الاجتماعية << ص 72.